إعداد

اللجنة العلمية

حقوق الطبع محفوظة

١٤٤٥ هـ – ٢٠٢٤م

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن رحمة للعالمين، ومنارًا للسالكين، ومنهاجًا للمؤمنين، وحجة على الخلق أجمعين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنه ينبغي للمسلم أن يعظِّم ما عظمه الله تعالى، وإن الله تعالى قد عظم القرآن فجعله أعظم الكتب، وعظم الفاتحة فجعلها أعظم السور؛ فقال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾، وهي سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، افتتح الله عز وجل بها كتابه، وفرض علينا تلاوتها في كل ركعة من ركعات الصلاة، فقارؤها يناجي ربَّه، وربُّه يجيبه، وقد ضمَّنها ربنا أجمع المعاني، وأنفع الدعاء، وجعلها شفاء للقلوب والأبدان، وبيانًا لطريق الصالحين وسبُل المفسدين.

ومن ثَمَّ فقد وجب على المؤمن أن يعرف للفاتحة مقدارها وأن يعطيها حقها.

وهذ رسالة لطيفة في سورة الفاتحة تضمنت بعض فضائلها، ومقاصدها، وتفسيرًا مختصرًا لها، وبعض اللطائف المتعلقة بها، وطرفًا من معانيها الإيمانية، وبيان مفاتيح الخير فيها، وسبل تزكية النفس بها، وطرق تدبر معانيها وتطبيقها في الحياة.

فاللهم اجعلنا من أهل القرآن إيمانًا وتصديقًا وتلاوة وحفظًا، وتدبرًا وعملًا.

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

إنها فاتحة الكتاب..

فاتحةُ كلِّ خير في الدنيا والآخرة..

إنها المفتاح الأعظم لكنوز الأرض، كما أنها المفتاح لكنوز الجنة..

هي أمُّ القرآن ، والسبع المثاني، والشفاء التام، والدواء النافع، والرقية التامة، ومفتاح الغنى والفلاح، وحافظة القوة، ودافعة الهمِّ والغمِّ والخوف والحزن لمن عرَف مقدارها وأعطاها حقها..

ومَن ساعده التوفيق، وأُعين بنور البصيرة حتى وقف على أسرار هذه السورة، وما اشتملت عليه، أَغنَتْه عن كثير من الأدوية والرُّقى، واستفتح بها مِن الخير أبوابَه، ودَفَع بها مِن الشرِّ أسبابَه.[1]

سل نفسك!

- لماذا نكَرِّرُ الفاتحةَ كلَّ يوم في صلاة الفريضة فقط (١٧) مرة ؟
- لماذا جُعِلت الفاتحة ركنًا مِن أركان الصلاة ؟
- ولماذا افتتح الله بها كتابه ؟
- ولماذا كانت أعظم سور القرآن مع قِصَرها ؟

أسئلة كثيرة ومهمة نُحلّق من خلالها مع معاني هذه السورة المباركة.

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٣١٨)

أين نزلت سورة الفاتحة ؟

الصحيح أنَّها أُنزلت بمكَّة، لأنَّ (سورة الحِجْر) مكيَّةٌ بالاتفاق، وقد أنزل الله فيها: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، وقد فسَّر النبيُّ ﷺ (السبع المثاني) بالفاتحة، فعلمنا بذلك أنَّ نزولهَا متقدمٌ على نزول (الحِجْر).

وأيضًا فإنَّ الصَّلاةَ فُرِضَت بمكَّة، ولم يُنقل أنَّ النبيَّ ﷺ وأصحابَه صلَّوا صلاةً بغير فاتحة الكتاب أصلاً، فدلَّ على أنَّ نزولهَا كان بمكَّة.(١)

وأجْمعتِ الأمَّةُ علَى أنَّ فاتِحَةَ الكِتَابِ سَبْعُ آياتٍ، كما دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: ٨٧]، وفسَّرها النبيُّ ﷺ بالفاتحة.

ما هي فضائل سورة الفاتحة؟

لسورة الفاتحة فضائل كثيرة منها :

هي ركن الصلاة الأعظم

لا تصح الصلاة إلا بفاتحة الكتاب، لحديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ».(٢)

---

(١) راجع تفسير القرطبي (١/ ١١٥)، وتفسير سورة الفاتحة لابن رجب (ص: ١٨)

(٢) رواه البخاري (٧٥٦) ومسلم (٣٩٤)

لا مثيل لها في جميع الكتب المنزلة

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَلاَ أُعَلِّمُكَ سُورَةً مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ، وَلاَ فِي الزَّبُورِ، وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ، وَلاَ فِي الْقُرْآنِ مِثْلُهَا؟» قُلْتُ: بَلَى. قَالَ : «فَكَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا قُمْتَ تُصَلِّي؟» فَقَرَأْتُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ ، قَالَ : «هِيَ ، هِيَ».(١)

هي أعظم سور القرآن

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى ﷺ قَالَ: كُنْتُ مع النبيّ ﷺ فِي المَسْجِدِ، فقَالَ لِي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ»... قَالَ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ».(٢)

الفاتحة نورٌ خاص بالنبي ﷺ وأمته

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ».(٣)

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٣٧) وأحمد (٥/ ١١٤)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٦٦٠)

(٢) رواه البخاري (٤٤٧٤)

(٣) رواه مسلم (٨٠٦)، ومعنى سَمِعَ نَقِيضًا: أي سمع صوتًا كصوت فتح الباب

الفاتحة تفتح للعبد باب المناجاة مع ملك الملوك

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ.(١)

الفاتحة شفاء من كل داء

فهي شفاءٌ مِن الأمراضِ القلبيَّةِ، وشِفاءٌ من الأسقامِ البدَنيَّة.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يُضِيفُوهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ رَاقٍ؟ فَإِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ لَدِيغٌ أَوْ مُصَابٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعَمْ، فَأَتَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ الرَّجُلُ، فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَقَالَ : حَتَّى أَذْكُرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ وَاللهِ مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ؛ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: «وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ؟».(٢)

---

(١) رواه البخاري (٧٥٦) ومسلم (٣٩٤)

(٢) رواه البخاري (٤٤٧٤)

ما أسماء سورة الفاتحة؟

تنوعت أسـماء الفاتحة بحسـب تنوع ما فيها من الدلالة، وما فيها من الفضـل، وما اشتملت عليه مِن المقاصد، وما فيها من البركة والخير، فمن أشهر أسمائها:

- فاتحةُ الكتابِ.
- أم القرآن.
- أم الكتاب.
- السبع المثاني.
- الصلاة.
- الحمد.

ما السرّ في تعدد أسماء الفاتحة ؟

قال القرطبي: كلُّ ما عَظُمَ شأْنُه تعدَّدتْ صفاتُه وكَثُرتْ أسماؤُه.[1]

(١) التذكرة (ص: ٥٤٤)

ما مقاصد ومحاور الفاتحة ؟

سورة الفاتحة تضمنت من المقاصد والمعاني والدلالات، ما لم تتضمنه سورة من سور القرآن الكريم، وقد تضمَّن القرآنُ الكريم علومَ الكتب السماوية وزاد عليها.

اشتملت سورة الفاتحة على جميع مقاصد القرآن ومن ذلك:

الثناء على الله بجميع المحامد، وتنزيهه عن النقائص، وإثبات تفرده بالألوهية، وإثبات البعث والجزاء، في قوله تعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤]

الأوامر والنواهي في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾.

الوعد والوعيد في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

وهذا هو سرّ الفاتحة، فمعاني القرآن ثلاثة:

١ – العقيدة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾.

٢ – العبادة: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾.

٣ – مناهج الحياة : ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

وكل ما بعد الفاتحة من قرآن يشرح هذه المحاور الثلاثة .

ذكرت سورة الفاتحة حق الخالق والمخلوق:

- نصفها الأول : إثبات استحقاق العبادة لله وحده .
- نصفها الثاني : ما يحقق للعبد حاجته وسعادته .

في سورة الفاتحة أركان العبادة القلبية:

- المحبة لواهب النعم ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .
- الرجاء في سعة رحمة الله تعالى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ .
- الخوف من هَوْل اللقاء ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ .

في سورة الفاتحة بيان شرطي قبول العبادة:

- الإخلاص: في قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾.
- المتابعة: لأن الله لا يقبل العمل إلا إذا كان على الصراط المستقيم، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم ، وأولهم الأنبياء.

التفسير المختصر للفاتحة

سورة الفاتحة هي السورة الأولى من حيث الترتيب في المصحف، والتي جمع الله فيها كل مقاصد القرآن، وأجمل معانيه ، بالأسلوب المعجز، واللفظ الموجز:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾

- باسم الله أبدأ قراءة القرآن، مستعينًا به تعالى متبركًا بذكر اسمه.

وقد تَضمنت البسملة ثلاثة من أسماء الله الحسنى، وهي:

١ - ﴿الله﴾؛ أي: المعبود بحق، وهو أخص أسماء الله تعالى، ولا يُسمى به غيره.

٢ - ﴿الرَّحْمَن﴾؛ أي: ذو الرحمة الواسعة. فهو الرحمن بذاته.

٣ - ﴿الرَّحِيم﴾؛ أي: ذو الرحمة الواصلة.

- فهو يرحم برحمته من شاء من خلقه ومنهم المؤمنون من عباده.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾

- الثناء على الله بصفاته التي كلّها أوصاف كمال، وبنعَمِه الظاهرة والباطنة، الدِّينية والدُّنيوية، وفي ضمنه أَمْرٌ لعباده أن يَحمَدوه، فهو المستحق للحمد وحده، وهو سبحانه المنشئُ للخلْق، القائم بأمورهم، المُربي لجميع خلقه بنعمه، ولأوليائه بالإيمان والعمل الصالح.

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ ﴾

الرَّحْمَنِ ذو الرحمة الواسعة الذي وسعت رحمته جميع الخلق، الرَّحِيمِ بالمؤمنين، الموصل للرحمة من يشاء من عباده؛ وهما اسمان من أسماء الله تعالى.

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾

الله وحده سبحانه مالك يوم القيامة، وهو يوم الجزاء على الأعمال.

وفي قراءة المسلم لهذه الآية في كل ركعة من صلواته تذكيرٌ له باليوم الآخر، وحثٌّ له على الاستعداد بالعمل الصالح، والكف عن المعاصي والسيئات.

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ﴾

إنّا نخصك وحدك بالعبادة، ونستعين بك وحدك في جميع أمورنا، فالأمر كله بيدك، لا يملك منه أحد مثقال ذرة.

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾

دُلَّنا، وأرشدنا، ووفقنا إلى الطريق المستقيم، وثبِّتْنا عليه حتى نلقاك، وهو الإسلام، الذي هو الطريق الواضح الموصل إلى رضوان الله وإلى جنته، الذي دلّ عليه خاتم رسله وأنبيائه محمد ﷺ فلا سبيل إلى سعادة العبد إلا بالاستقامة عليه.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

طريق الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، فهم أهل الهداية والاستقامة، ولا تجعلنا ممن سلك طريق المغضوب عليهم، الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به، وهم اليهود، ومن كان على شاكلتهم، والضالين، وهم الذين لم يهتدوا، فضلوا الطريق، وهم النصارى، ومن اتبع سُنَّتَهم.

لطائف حول سورة الفاتحة

ما المناسبة بين آخر سورة الفاتحة وأول سورة البقرة ؟

آخر كلمات سورة الفاتحة الدعاء بالهداية ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ فجاءت بداية سورة البقرة تُبين أن الهداية في التمسك بالقرآن ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]

لماذا قال ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ ولم يقل (الشكر لله) أو (المدح لله) ؟

- لأن الحمد يجمع أفضلَ صور الشكر، وأعمَّ صور المدح، وأرفعَ مقامات الثناء.
- لم يقل (الشكر لله) لأن الشكر يكون فقط مقابل نعمة ، أما (الحمد) فيكون حتى ولو لم تكن هناك نعمة (فالحمد) أعلى وأرفع.
- لم يقل (المدح لله) لأن المدح ثناء مجرد، أما (الحمد) فثناء معه محبة وإجلال وتعظيم، (فالحمد) أَلْيق بالله وأكمل وأعمق.

ما السرّ في مجيء قوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بعد قوله ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ؟

- لبيان شمول الرحمة وسعتها.
- كأن سائلاً يسأل: (ما نوع هذه الربوبية؟ هل هي ربوبية أخْذ وانتقام؛ أو ربوبية رحمة، وإنعام؟)، فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

لماذا قال ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ ولم يقل (مالك الدين) ؟

لنعرف أن للدين يومًا يمتاز عن سائر الأيام، وهو اليوم الذي يَلقى فيه كلُّ عامل عمله ويُوفى جزاءه.

لماذا كان الدعاء بالهداية في أعظم سورة (الفاتحة) وفي أعظم مقام في الصلاة ؟

قال ابن تيمية : لأن كل عبد مضطر دائمًا إلى الهداية إلى الصراط المستقيم، ولا نجاة من العذاب إلا بهذه الهداية ولا وصول إلى السعادة إلا به فمن فاته هذا الهدى: فهو إما من المغضوب عليهم أو من الضالين.[1]

ما فائدة إضافة الصراط إلى السالكين له وهم الذين أنعم الله عليهم؟

لتزول عن السالك للصراط في زمن الغربة وحشةُ تفرده عن أهل زمانه وبَني جنسه.

قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه : عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل، ولا تغترّ بكثرة الهالكين.[2]

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٣٩٩)

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٦)

عوامل الثبات على الصراط المستقيم

١- الإقبال على القرآن

قال الله تعالى في بيان أثر القرآن في تثبيت أفئدة المؤمنين: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]

قال ابن تيمية: مَنْ تَدبَّرَ القُرآنَ طالِبًا لِلهُدَى منهُ تبيَّن له طرِيقُ الحقِّ.(١)

٢- الجمع بين العلم الإيمان

قال الله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]،

قال قتادة: أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر.(٢)

٣- الإكثار من الأعمال الصالحة

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦]

فالمثابرة على الطاعة والمداومة عليها ابتغاء وجه الله سبب عظيم للثبات على الدين.

وفي الحديث القدسي: وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ،فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ:كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ.(٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٣٧)

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٠٢)

(٣) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٤- سؤالُ اللهِ تعالى الهدايةَ والاستقامة

ولهذا فإن أنفع الدعاء، وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة : ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، فإن الله إذا هدى العبد هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

٥- الحرص على ملازمة الصحبة الصالحة

كما أننا نسأل الله الهداية إلى ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، فلابد أن نعرف صفاتهم ونبحث عنهم ونحرص على صحبتهم إذا أردنا الهداية والفلاح.

أهم المعاني الإيمانية للفاتحة

خلاصة الفاتحة | **مدح وثناء وتمجيد + عبودية واستعانة = هداية وإنعام**

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾

- ﴿اللَّهِ﴾ أول اسم في أول آية من كتاب الله، لأنَّ حاجةَ العباد إلى ربهم في عبادتهم إياه، أعظم من حاجتهم إليه في خلْقه لهم، ورزقه إياهم ، ومعافاة أبدانهم، وستر عوراتهم، وتأمين روعاتهم.

- وبدأ باسمَي ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ لنعلم أن رحمته سبحانه سبقت غضبه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي.(١)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾

- الفطر السوية دائمًا تلهج بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى أن يستقر بهم المآل في الجنة، ووقتئذ يكون ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]

- لا يكون حامدًا مَن جهل صفاتِ المحمود، ومَن لم يعترف بنعم الله عليه ويثني عليه بها.

---

(١) رواه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١) واللفظ له.

اسْـتَحْضِـر حال تلاوتها أن الله سـبحانه ربَّى جميع العالمين بنعمهِ تربيةً عامة، وربَّاك أنت تربيةً خاصة (تربية الروح والقلب بالقرآن) فالحمد لله.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ كلمة خفيفة جدًا على اللسان، ولكنها «تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»[1].

﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ عالَم الإنس والجن والطير والحيوانات والنباتات ، وكل عالَم نعرفه، وكل عالَم لم نكتشفه بعد، فالله وحده هو خالقه ومالكه ومصرفه وقائم على حفظه ومصالحه.

﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الذي ربَّاك وسـبق إحسـانُه إليك بلا مقابل، فلا تنتظر منه إلا خيرًا .

﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يعيش الطفل آمنًا إن كان عنده أبٌ! فما ظنكم بمن كان لـه رَبٌّ رحيمٌ آمن بـه، وتوكـل عليـه، وعلَّق قلبـه بـه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ تهدم كلَّ نظريات الإلحاد المعاصـر التي (أَلَّهَتْ) كلَّ شيء إلا ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

لو تأملتَ العالَم بعين البصيرة لرأيتَه ممتلئًا برحمة الله تعالى كامتلاءِ البحر بمائِه والجوِّ بهوائه.(١)

الرحمةُ الحقيقية هي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد ، وإن كرهتْها نفسُه.

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ لو لم يعلم الناس عن ربهم إلا هذين الاسمين لكان هذا كافيًا بأن يُبدد كل أحزانهم ومتاعبهم.

لو سألت ما سعة رحمةِ ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ؟، الجواب: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ أرأيت رحمةَ أُمِّك بِك ؟ واللهِ ؛ للهُ أرحمُ بك منها !

حتى الكافر فتح له باب التوبة ولم يُقنِّطْه من رحمته ما دام حيًا؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: لَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ.(٢)

المحروم حقًا مَن حُرِمَ من رحمة ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فاللهم لا تحرمنا من رحمتك.

إياك واليأس من رحمة ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فـ ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧ ﴾ [يوسف: ٨٧]

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٣٧١)

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٩) ومسلم (٢٧٥٥)

إذا نزل بك البلاء فلا تقنط مِن رحمة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لأنه يبتلي العبد ليُهذِّبَه لا لِيُعذِّبَه.

كلما كنت أعرف بـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ كنت أرضى بقضائه سبحانه وتعالى، لأن قضاء الله عز وجل دائر بين العدل والحكمة والرحمة.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾

تتجلى حقيقة المُلك للخلْق يوم الدين، ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝١٦﴾ [غافر: ١٦]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟.[1]

تأمل فإن الآية تضمنت:

- إثبات المعاد.
- وجزاء العباد بأعمالهم، حسنها وسيئها.
- وتفرد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق.
- وكون حكمه بالعدل.[2]

---

(١) رواه البخاري (٧٣٨٢) ومسلم (٢٧٨٧)

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣١)

المُلْك لله في الدنيا وفي الآخرة، والتأكيد هنا لتمام التفرد بالملك ، فلا منازع له.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ يضع فيه الموازين بالقسط، وينصر المظلوم ، ويعذّب الظالم، وهذا من تمام عدله وسلطانه.

ما أجملَ أن نُدرك أن ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ هو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾!

قال حمادُ بن سلمة: والله لو خُيِّرتُ بين محاسبةِ اللهِ إيّاي وبين محاسبةِ أَبويَّ لاخترتُ محاسبةَ اللهِ على محاسبةِ أبوي، وذلك أنَّ اللهَ تعالى أرحمُ بي مِن أَبويّ.[1]

حين نقرأ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فتذكَّر: «حمدني عبدي»، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ «أثنى عليَّ عبدي»، ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ «مجدني عبدي»؛ أسمعتم أزكَى وأجمل مِن هذه المناجاة ؟

واللهِ لولا ما على القلوب مِن دُخانِ الشهوات والمعاصي، لطارَتْ فرحًا وسرورًا بقول رَبِّها وفاطرها ومعبودها: «حمدني عبدي، وأثنى علي عبدي، ومجدني عبدي».[2]

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٦/ ٢٥١)

(٢) كتاب الصلاة لابن القيم (ص: ١٤٢)

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾

هنا ينتقل العبدُ مِن الحمد والثناء والتمجيد إلى خطاب الحضـور، كأنه صـلح الآن لأن يكون قريبًا مِن ربه، فخاطبه خطاب الحاضرين، فقال ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.[1]

العهد الذي بينك وبين الله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فـ ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّـٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠﴾ [البقرة: ٤٠] حتى تنال «ولعبدي ما سأل».

استحضر كأنك واقف أمام سيِّدك تُؤدِّي القَسَم ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ إعلان للتوحيد في مختلف أنواعه وتثبيت في النفس معنى لا إله إلا الله.

﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ إعلانٌ بضعفك لله، وافتقارك إليه، وانكسارك بين يديه.

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾: مَن أرادَ السعادةَ الأبدية، فلْيَلزمْ عتبَةَ العُبودية.[2]

ما لا يكونُ بالله لا يكون، وما لا يكون لله لا يَصلح ولا يَنفع ولا يَدوم.[3]

أخطر أمراض القلب: الكِبْرُ والرياء؛ فدواءُ الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، ودواء الكبر بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.[4]

---

(١) فتح الباري لابن رجب (٧/ ١٠٣)

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٢٩)

(٣) شرح حديث النزول لابن تيمية (ص: ١٤١)

(٤) مدارج السالكين (١/ ٧٨)

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾

- إذا قلت ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ فانتظر ردَّ ربّك «هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل».
- عبدٌ أمامَه ثلاث طرق ولا يدري أيّها يَسلك لينجو ؛ فما أحوجه إلى ﴿ ٱهۡدِنَا ﴾.
- فأنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه: دعاء الفاتحة : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾.(١)
- ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ الهداية في القرآن نوعان:

– هداية عامة: وهي الدلالة إلى مصالح العبد في معاشه ومعاده.

– وهداية خاصة: وهي الإعانة والتوفيق للسير في طريق الخير والنجاة.

- ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ يتضمن ستة أمور :

١ – معرفة الحق. ٢– قصده وإرادته. ٣– العمل به.

٤ – الثبات عليه ٥ – الدعوة إليه. ٦– الصبر على الأذى فيه.

- ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ بدايته هنا، ونهايته في الفردوس الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم.
- على قدْرِ ثبوت قدمك على هذا الصـــراط في الدنيا يكون ثبوت قدمك على الصراط يوم القيامة.(٢)
- وعلى قدْر سيرك على هذا الصراط هنا في الدنيا يكون سيرك على ذاك الصراط.
- ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ كما أن صـــراط جهنم عليه كلاليب، فكذلك الشبهات والشهوات هي كلاليب الصراط المستقيم، ومَن سَلِمَ هنا فازَ هناك.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٢٠)

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٣)

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

لاحظ قال الله ﴿أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ فلولا إنعام الله عليهم ما اهتدوا إلى الصراط، ولولا فضل الله عليهم ما ثبتوا عليه، وبذلك تُمحى جذور الغرور والعجب من القلوب.

قال إمام المهتدين ﷺ: وَاللهِ لَوْلاَ اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا.(١)

﴿أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ استعطاف، فإن من عادة المساكين أن يتوسلوا بقولهم: أعطنا كما أعطيت فلانًا وفلانًا.

من علامة اهتدائك للصراط المستقيم مخالفة المغضوب عليهم والضالين ومن سار على نهجهم، ولذلك لما ذكر الله الصراط المستقيم ، ثم ذكر الذين أنعم عليهم، قال: ﴿غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فمن شابههم في لبسهم أو كلامهم أو حركاتهم أو سكناتهم لم يَهتدِ اهتداءً تامًا.

فإذا ختم القارئ في الصلاة قراءة الفاتحة، أجاب الله دعاءه فقال: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل». وحينئذ تُؤمِّنُ الملائكة على دعاء المصلى، فيُشرع للمصلي التأمين ليوافق الملائكة ، فمَن وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفِر له ما تقدَّم مِن ذنبه.(٢)

---

(١) رواه البخاري (٤١٠٤) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه

(٢) فتح الباري لابن رجب (٧/ ١٠٣)

مفاتيح النجاح في سورة الفاتحة

في سورة الفاتحة مفاتيح النجاح في الحياة، ومن هذه المفاتيح :

تحديد الهدف

لن يصـل الإنسـان إلى أي نجاح في حياته إذا لم يحدد هدفه بدقة وواقعية، فإذا خرجت مِن بيتك وأنت لا تعرف إلى أين تذهب، فلن تَصِل إلى شيء.

سَل نفسك:

ماذا أريد ؟ يأتيك الجواب ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

ولماذا ؟ يأتيك الجواب: لتكون ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾.

كيف أحقِّق ذلك ؟ الجواب بتحقيق ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ بالاستعانة بالله.

متى يتحقَّق لي ذلك ؟ الجواب : إذا كنت جادًا في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾.

مَن يُعينني على تحقيق ذلك ؟ بصحبة الصالحين ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾.

عليك البداية وعلى الله التمام

ابدأ إذا أردت الوصول:

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا تَقَرَّبَ عَبْدِي مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا.(١)

وقَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، قُمْ إِلَيَّ أَمْشِ إِلَيْكَ، وَامْشِ إِلَيَّ أُهَرْوِلْ إِلَيْكَ.(٢)

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥)

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٧٨) عن رجل من الصحابة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٠٠)

في الفاتحة قدَّم اللهُ تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وقدَّم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لنعلم أن الإعانة والهداية لا تكون إلا لمَن بذل الأسباب، وهكذا في كل أمر من أمور الحياة مَن أراد شيئا فليأخذ بأسبابه، وقلبه معلقٌ بالله تعالى ، لأن السماء لا تُمطر ذهبًا ولا فضة، والنجاح ليس ملكًا لأحد وإنما النجاح ملكٌ لِمنْ يَدفعُ الثمن.

التركيز على الهدف

اجعل عينك على الهدف دائمًا ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لأن مَن يُركِّز ببصره على الأفق البعيد هو فقط مَن سيهتدي إلى الطريق الصحيح.

(الاستمرار) مَن واصل وصل

جميع ما ورد في الفاتحة عن المؤمنين يدور حول معنيين: إما الاستقرار، وإما الاستمرار:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة اسمية تفيد الاستقرار.

﴿نَعْبُدُ﴾ و﴿نَسْتَعِينُ﴾ جمل فعلية تفيد الاستمرار.

عندما تَصل إلى معنى كلمة النجاح تجد أنها ببساطة تعني الإصرار والمداومة والاستمرار، وفي الحديث «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»[1].

(١) رواه أحمد (٣/ ٤١٣) واللفظ له ، ومسلم (٣٨) من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه.

الثبات حتى الممات

نسأل الله (١٧) مرة في الفرائض فقط ليثبت قلوبنا على الإيمان ويحفظنا من سبل أهل الكفران ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فاثبت على عقيدتك، وتَمسَّك بدينك، واعتزَّ باتباعك للكتاب والسنة، وإياك أن تهتز أمام المغريات أو الصعوبات.

مفاتيح الوصول إلى الله في الفاتحة

في سورة الفاتحة مفاتيح السير على الطريق للوصول إلى الله تعالى منها :

العلم قبل القول والعمل

سورة الفاتحة تعرفنا على الله وتوحيده أولاً، ثم تعرفنا كيف نعبده وندعوه، وهذه قاعدة أصيلة في السير إلى الله، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩]

دوام الذلّ والافتقار والانكسار لله

وهو أقربُ وأوسعُ بابٍ يُوصل إلى الله، ولا مُزاحمَ فيه، فما هو إلا أن تَضع قدميك على عتبته، فإذا به سبحانه قد أخذ بيديك وأدخلَك عليه.[1]

وهذا المعنى يتجلى بوضوح في اسم السورة «الفاتحة» وفي البسملة، وفي «نعبد»، و«نستعين» و«اهدنا» و«أنعمتَ عليهم».

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٢٩) بتصرف

الجمع بين المحبة والخوف والرجاء

فـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾تُورثُ المحبة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾تُورثُ الرجاء.

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾، تُورثُ الخوف؛ فكانت النتيجة: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾، فلا أعبد إلا أنت، ولا أستعين إلا بك.

والقلبُ في سَيْرِه إلى اللهِ عز وجل بمنزلةِ الطائِر، فالمحبةُ رأْسُه، والخوفُ والرجاءُ جناحاه، فمتى سَلِمَ الرأسُ والجناحانِ فالطائرُ جيدُ الطيَران، ومتَى قُطِعَ الرأسُ ماتَ الطائرُ، ومتَى فَقَدَ الجناحان فهو عُرضةٌ لكلِّ صائِدٍ وكاسِر، فالمحبة هي المركب والرجاء حادٍ، والخوف سائقٌ، والله هو الموصِّل بمَنِّه وكرمه.(١)

تقديم مراد الله على مرادك

قُدِّمَ مرادُ الله في ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ وتأَّخر مرادُكِ في ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ لنعلم أنَّ مَن قدَّم مرادَ الله على مراده أعطاه الله ما يريد ، بل فوق ما يريد ؛ قالت عائشة للنبي ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ.(٢)

لماذا ؟ لأن النبي ﷺ كان يقدّم مراد الله على مراده في كل أموره.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١٣)

(٢) رواه البخاري (٥١١٣) أي : يحقق لك مرادك بلا تأخير.

تحديد وجهة السير

- إلى مَن وإلى أين نسير؟ والجواب ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى]
- حدِّد وجهتك ولا تُشَتِّت نفسَك وانطلق، كما فعل قاتل المائة «فَانْطَلَقَ»، فحَرَّك اللهُ له الأرض ليكون أقرب إلى النجاة بشبرٍ .. فإياك والتردد ..
- أعلنها كما أعلنها أَبوك إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]

الثقة بالمنهج والطريق

فلا أَشُكُّ لحظةً واحدةً في منهج الحق الذي أَتمسك به ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ ولن أتراجع عن طريق الحق الذي أسلكه لثقتي به، ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: ١٦١]

المسارعة وعدم التباطؤ

- فمَنْ لم تكن همتُه التقدُّم في كلّ لحظة فهو في تأخُّرٍ وهو لا يشعر، فإنه لا وقوف في السير إلى الله ، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧] .
- والذين أنعم الله عليهم وصفهم بأنهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]

يقول شيخ الإسلام: لابد للسالك إلى الله من همةٍ تُسيِّرُه وتُرقِّيه، وعلْمٍ يُبصِّرُه ويَهديه.[1]

ويقول خالد بن معدان: إذا فُتح لأحدكم بابُ خيرٍ فليُسرع إليه، فإنه لا يَدري متى يُغلق عنه.[2]

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٤٣)

(٢) حلية الأولياء (٥/ ٢١١)

اختيار الرفيق على الطريق

عليك بالرفقة الصـــالحة ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾، قال تعالى لنبيه ﷺ:

﴿وَٱصبِر نَفسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِٱلغَدَوٰةِ وَٱلعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجهَهُۥۖ وَلَا تَعدُ عَينَاكَ عَنهُم تُرِيدُ زِينَةَ ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَاۖ وَلَا تُطِع مَن أَغفَلنَا قَلبَهُۥ عَن ذِكرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]

واحذر من الســير وحدك، فالمؤمن بإخوانه، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ»(١).

أي البعيدة التي تسير وحدها.

(١) رواه أحمد (٦/ ٤٤٦) والنسائي (٢/ ١٠٦)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٣٥).

مفاتيح التربية في الفاتحة

التربية الصحيحة الناجحة هي التي تَستقي منهجها وأصولها من كلام ربِّ العالمين، وسورة الفاتحة جمعت أصول منهج التربية ، ونذكر من ذلك :

نبدأ بما بدأ اللهُ به (العقيدة)

فالله تعالى بدأ كتابه بالعقيدة، وأمر جميع رسله أن يبدأوا دعوتهم بالعقيدة ، فبناء النفس الإنسانية يكون بترسيخ العقيدة في الأعماق، وهذه السورة منهج رباني في بناء النفس الإنسانية، تعلمنا أن العقيدة الصحيحة أول درس وأدوم درس يُعطى للمتربي.

البداية بالسهل مع المتربي

- فالفاتحة من أسهل سور القرآن لفظا ومعنى، مع أنها جمعت كل مقاصده ومعانيه.
- البداية في كل الأمور باسم الله وحمده أعظم أسباب التسهيل.
- افتتاحُ السورة بالبسملة إرشادٌ لنا أن نفتَتِح كلَّ أفعالنا وأقوالِنا بها.

التدرج والترقي في التربية

بدأت السورة بأسلوب الغَيبة ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ حتى وصلت إلى ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ انتقلت من أسلوب الغَيبة إلى أسلوب الشهود ، وكأنَّ المعلوم صار عِيانًا، والمعقول صار مشاهدًا، والغَيبة صارت حضورًا.

التكرار؛ فما تكرَّر تقرَّر

من أهم رسائل سورة الفاتحة التربوية ضرورة التكرار للأمور المهمة حتى يستوعبها ويتقبلها المتربي، فنحن نكرر الفاتحة في صلواتنا اليومية ما لا يقل عن (١٧) مرة.

التربية بالرحمة

لذلك بدأت السورة بـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، والقاعدة التربوية تقول: ألِّفْ ثمَّ عرِّفْ ثمَّ كلِّفْ، وهذا هو المنهج النبوي، قال ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ».(١)

وقال ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً».(٢)

الجمع بين الترغيب والترهيب

الترهيب بعد الترغيب منهج قرآني ، لتستقيم النفوس على طريق الله : ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]

وهكذا الفاتحة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ ترغيب ثم ترهيب .

التركيز على الغايات (الأهداف) لا يُنسينا الوسائل

فلن نصل إلى أعظم الغايات ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ إلا بأعظم الوسائل ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

---

(١) رواه ابن الأعرابي في معجمه (٢٤٥٢) والآجري في الشريعة (١٠٠٠)، وصححه الألباني في المشكاة (٣/ ١٦١٥)

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٩)

الاعتناء بالقصة وما لها من آثار إيجابية

القرآن كثيرًا ما يسوق لنا قصص ﴿ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم ﴾ وصفاتهم وجهادهم، ومآل أتباعهم ، ومآل أعدائهم لنعتبر ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١]

إبراز القدوات للمتربين

من أهم أركان التربية إبراز قدوات ليقتدي بهم المتربي، وقرآننا مليء بالقدوات مِن ﴿ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] فلْنُبرزْها.

التحذير من قُطّاع الطريق

لم تأتِ ﴿غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ في الفاتحة التي نكررها في يومنا مرات عديدة عبثًا، وإنما أتت لنحْذَر ونحذِّر مِن طريق هؤلاء و لا نتشبه بهم في قول ولا فعل.

سورة الفاتحة تزكية وتحلية

كيف نزكي أنفسنا بالفاتحة؟

الآية	تخلية	تحلية
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ	من الاعتماد على النفس	بالاستعانة بالله في كل أمر
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ	من الجحود والكفران	بالحمد والثناء والشكر
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ	من القنوط واليأس	بالثقة واليقين برحمة الله تعالى
مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ	من الغفلة والإعراض	باليقظة والاستعداد
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	من الشرك والكبر والعجب	بالإخلاص والتوحيد وتمام الافتقار
ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ	من التيه والضياع	بسؤال الهداية والتوفيق للعمل
صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ	من الجهل والعناد	بالعلم والاتباع
غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ	من الغضب والضلال	بالهدى والرشاد

كيف أتدبر الفاتحة؟

حتى تحفز نفسك وتحرك قلبك، قبل أن تقرأ الفاتحة:

- لابد أن تتذكر النصوص التي تُبين فضل ومكانة سورة (الفاتحة).
- اطرد الشيطان بالاستعاذة بالله منه حتى لا يقطع عليك مناجاتك لربك.
- استحضر أنك ستُناجِي اللهَ تعالى بأحب الكلام إليه وأعظمه قدرًا (الفاتحة).
- استشعر أن الله يُجيبكِ حين تقرأ كلّ آية من الفاتحة «حمدني عبدي...».
- ركز في كل كلمة تقرأها ، وتفكر في معانيها ، وأنك المخاطب بها.

يقول علي بن الحسن بن علي: إنَّ مَنْ كانَ قبْلَكم رَأَوْا القرآنَ رسائِلَ مِنْ رَبِّهم، فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار.[1]

- رَتِّل الآيات وحسِّن صوتك بالقراءة ، وقِفْ على رؤوس الآيات .
- كرر الآية ولا تتجاوزها حتى تجد لها أثرًا في قلبك .
- اعلم يقينًا أنك بقدر ما تُعطي الفاتحة قدرها من التركيز والاهتمام، بقدر ما يُفتح لك بها من أبواب النجاح والتوفيق في الدنيا والآخرة.

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (ص: ٥٤)

كيف أطبق الفاتحة في حياتي؟

- ابدأ بـ «بسم الله» في كل قول وفعل في حياتك كما علمنا رسول الله ﷺ.
- إياك واليأس من رحمة الله مهما ضاقت الأمور، فربنا هو (ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) .
- احمد الله تعالى حمدًا كثيرًا على نعمه وفضله وهدايته لك إلى دين الحق .
- احمد الله على كل حال ؛ في السراء والضراء، وقدوتك في ذلك رسول الله ﷺ ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَسُرُّهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ» وَإِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَكْرَهُهُ ، قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ».(١)
- حينما تقول «الحمد لله» فقد مَلأت ميزان الرحمن ! فماذا تنتظر؟ قل «الحمد لله».
- كن من الرحماء فإن الله رحيم يحب الرحماء .

قال ابن القيم : مَن وافق الله في صفة من صفاته قادَتْه تلك الصفةُ إلى الله بزمامه، وأدخلته على ربه، وأدنته منه، وقربته من رحمته، وصيَّرته محبوبًا، فإنه سبحانه رحيمٌ يحب الرحماء.(٢)

- مَنْ عامل الخلْقَ بالرحمة عامله الله بالرحمة، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أن النَّبِيَّ ﷺ قال: الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ.(٣)

قال ابن القيم: من عامل الخلْق بصفة عامله اللهُ تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة.(٤)

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٠٣) والحاكم (١/ ٦٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٥٠).

(٢) الداء والدواء (ص: ٦٧).

(٣) رواه أبو داود (٤٩٤١) والترمذي (١٩٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٦١).

(٤) الوابل الصيب (ص: ٣٥).

- كيف تقلق أو كيف تيأس أو كيف تحزن؟ وأنت تردد (ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ).
- أحسن الاستعداد ليوم الدين بالأعمال الصالحة.
- جدد العهد بينك وبين الله دائما بـ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥].
- صلاحك عبادة، صبرك عبادة، تمسكك بالسنة عبادة، تربيتك لولدك على الطاعة عبادة.
- ابدأ الدعاء بالحمد والثناء على الله سبحانه فهذا من أهم آداب الدعاء.
- ألحَّ في الدعاء دائمًا وأظهر ضعفك، قال أحد السلف: تَضاعف ما أمْكَنَكَ فإنَّ اللطفَ مع الضعف أكثر.[١]
- إذا شعرت يومًا بعدم التوفيق فراجع نيتك، فعلى قدر نية العبد يكون توفيق الله وإعانته له.[٢]
- استمدَّ العون من الله دائما «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».[٣]
- سَل اللهَ الهداية «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى».[٤]
- ليكن دأبك في الدعاء: أعطني كما أعطيتهم واهدني كما هديتهم: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ».[٥]

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٢٣٣).

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ٩٧)

(٣) رواه أبو داود (١٥٢٢)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٢٩٩).

(٤) رواه مسلم (٢٧٢١)

(٥) رواه أبو داود (١٤٢٥) والترمذي (٤٦٤)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٩٨).

- ابحث عن الأسباب التي توصلك وتثبتك على الصراط المستقيم.
- احرص على صحبة الصالحين والزمهم وخاصة في زمن الغربة.
- احذر التشبه باليهود والنصارى ومَن على شاكلتهم، فـ«مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».[1]
- إذا تعلمت شيئًا من الدين فبادر إلى العمل به ولا تكن كاليهود الذين علموا ولم يعملوا.
- ارقِ نفسك من أي مرضٍ بالفاتحة فإنها شفاء عاجل ناجع (بشرط اليقين).
- علِّم الفاتحة لأبنائك وأبناء المسلمين، حتى تصح صلاتهم لأن الفاتحة ركن من أركان الصلاة، وفي تعليمها خير كثير وأجر جزيل، وهي وأكثر السور تلاوته وأعظمها أجرًا؛ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ عز وجل كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا تُلِيَتْ .[2]

- اجعل الفاتحة منهجًا في تربيتك لنفسك ولأبنائك، فقد ربَّى بها النبي ﷺ الصحابة في مكة وكذلك رباهم بها في المدينة ، فقد مرَّ مُنقِذُ بن حَيَّان على النبي ﷺ بالمدينة فقرأ عليه النبي ﷺ الفاتحة وسورة العلق فأسلم ورجع إلى قومه فدعاهم إلى الله فجاءوا جميعًا إلى النبي ﷺ ليعلنوا إسلامهم، فكانت الفاتحة فاتحة خير عليه وعلى قومه.[3]

- ارقِ أولادك بالفاتحة وكن على يقين تام أنها شفاء من كل داء نفسي أو عضوي أو قلبي.

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/ ١٢٤٦)

(٢) رواه أبو سهل القطان في "حديثه عن شيوخه" (٤ / ٢٤٣) وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٣٢٣)

(٣) شرح مسلم للنووي (١/ ١٨١)

أبرز الأخطاء الشائعة في استعمال سورة الفاتحة

أولاً : قراءة الفاتحة على الأموات

لأن القرآن أنزله الله للأحياء ليعملوا به، لا للأموات، قال الله تعالى عن القرآن : ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠] ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ . (١)

ثانياً: قراءة الفاتحة للنبي ﷺ أو للصالحين

وهذا ليس عليه دليل من القرآن أو السنة، ولم يفعله الصحابة، وإنما الذي وردَ في السنة أن نصلي على النبي ﷺ ، ونترضى ونترحم على الصحابة والصالحين.

ثالثاً: قراءة الفاتحة عند الخِطْبة أو عقد النكاح

وهذا ليس عليه دليل من القرآن والسنة ، وإنما هي من عادات الناس ، ولا سيما إذا اعتقدوا أن الخِطْبة أو عقد النكاح لا يتمان إلا بقراءتها .

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ. وفي لفظ لمسلم: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ.(٢)

---

(١) رواه مسلم (١٦٣١)

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).